

# الحج مرآة التاريخ البشري

## رؤيا الدكتور شريمي للحج

د. عبد الجبار الرفاعي

**الحج خلاصة دعوة ابراهيم وضراعات هاجر**

يحشد شريعتي تحليلات مفصلة لكل منسك من مناسك الحج. مواكبا رحلة الحاج. منذ ان يتأهب من منزله مستعدا لهذه الرحلة المباركة. استجابة لنداء ابراهيم عليه السلام. حتى يعود الى الهله.

في الميقات يلحف الحاج لباسه. ويرتدي ثيابا هي بمثابة الكفن. في لونها ومواصفاتها. وهنا يتكشف الوجه الآخر للوظيفة الرمزية للباس في حياة الانسان. وما تشير اليه الأزياء، في اوانها. وتشكيلاتها. وتصاميمها المتنوعة. فلا

يقتصر دور اللباس على الستر. والزينة. وحماية الانسان من المؤثرات المناخية. كالحر والبرد والرياح.

وانما ترمز أزياء الناس الى مكانتهم. وطبقتهم. وموقعهم. وتشير الى وجهة تفكيرهم. وما يميزهم عن سواهم. في معظم المجتمعات.

اللباس يكرس ( الانسا)) ويشي باختلاف. اما الاحرام الذي يرتديه كل حاج. ويضع لشروط صارمة تضبط بساطته. وتضي عنه أية زخارف. أو الوان. وأشكال. فهو تدريب عملي لتربية الانسان المسلم على تجاوز ثنائية: السيد والعبد. والقوي والضعيف. والشريف والوضيع. والمتحضر والبدوي. والعربي والأعجمي. والشرقي والغربي. والغني والفقير. والمتخم والجانح. ان التجرد من الثياب في الميقات. يتضمن فيما يرمز اليه هتك الأقدعة. التي



تختفي وراهها جملة من نزعات الكراهية. الكامنة لدى الانسان. انه تجرد من قناع الوحشية. والمكر. والخديعة. والخنوع. والذلة. والجن. والهوان. وسائر منابع الشر والعوان. وكان لحظة الميقات لحظة يولد فيها الانسان من جديد. وقتئذ تتجلى الذات على حقيقتها. متحررة من الاعراف والتقاليد. ومن سائر الاسماء والالقباب. التي تضج بها الحياة.

وتغطي الاشخاص بطبقات وحبج. شديدة الكثافة. تستر على حقيقة الانسان(٢٤) ثم يردد الحاج التلبية بعد ارتداء الاحرام (لبيك اللهم لبك. لبك لا شريك لك لبك. لا الحمد والتعمة لك والملك. لا شريك لك لبك). والتلبية تتضمن اعترافا واقربارا بالتحويد. وثبدا للشرك بكافة انواعه. فالشرك منبع اغتراب الانسان في العالم. والشرك يسخ الانسان. ويكرس استلابه. ويبرر الانتقاسات. والضرعات. والتمييز العنصري. ذلك ((ان الاعتقاد بتعددية الالهة. يبرر تعددية المخلوقات. ويسوغ تقديس بعضها. ويصورها

كانها حقائق خالدة أبدية. وان الاعتقاد بوجود تناقض بين الالهة. يصور الضرعات والتناقضات في الحياة بمثابةامر طبيعي والهي. بينما التوحيد الذي يعني رفض كل اشكال الشرك. ينظر اليكل ذرة وظاهرة في الوجود على انها تندرج في حركة متسفة باتجاه هدف واحد)):(٢٥)

ان التلبية فاعلية جوانية. يفصح عنها اللسان. بهذه الصيغة. بغية تطهير جوانح الانسان من كافة ألوان الشرك. وتعميق التوحيد في وجدانه. اما الكعبة الشريفة. فيشتق لها شريعتي أسماء. يستنبط شيئا منها من القرآن الكريم. وموارد من أوصاف لها في المأثور. اذ يسميها تارة ((بيت الناس)) استنادا الى قوله تعالى ((ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين)):(٢٦)

فاناس كل هم ممثلو الله وعياله. والقرآن يبدأ باسم الله وينتهي باسم الناس. والكعبة ((بيت الله)) ولكن يطلق القرآن عليها اسم((بيت الناس)) ايضا. ويعتقد شريعتي ان الآيات القرآنية التي نسبت للمكية الى الله ((ان تقرضوا الله قرضا حسنا)):(٢٧). المقصود من كلمة الله فيها هو الناس. والا فما حاجته الى المال?

وفي حالات متعددة يمكننا وضع كلمة الله حيثما كانت كلمة الناس أوالعكس. ومع ذلك تبقى الآية مفهومة وصحيحة(٢٨). وهكذا يتحد سبيل الله مع سبيل الناس، بمعنى انه لكي تقترب من الله عليك ان تقترب أولا من الناس. وان الوصول الى الله انما يجري من خلال نفع

الناس ((خير الناس من نفع الناس)) وخدمة

الناس(٢٩) وعندما بنى ابراهيم الكعبة. ارادها ان تكون بيتا لمن لا يبيت لهم. وماوى لكل الذين لا ماوى لهم. هي مظلة لمن تعرض للطرד والنفي. هي ملاذ للمعذنين والمستضعفين في الأرض. وملجأ للمشردين. انها مصباح في ظلام الطغيان الذي يعانیه من اتخذوا ابراهيم اسوة لهم. لقد عانى ابراهيم التشريد من قبل، بعد ان حطم الأوثان. وأراد ان يحرر الناس من عبوديتها. وعبودية النمرود. ثم طاف الأرض باحثا عن الحرية. ومحاولا ان يبني للناس بيتا لتحريرهم. بدلا عن معابد الأصنام. التي تشيع الشرك. والذي هو أبرز رافد تستقي منه عبودية الانسان للالهة المزيفة.ان هجرة ابراهيم. ورحلته الطويلة ما بين بلاد الرافدين وفلسطين ومكة. كانت هجرة تمدنية. تهدف الى اساء قواعد ومعالم شاخصه للحضارة. ومحطات يأوي اليها الناس. حين تضيق الأرض عليهم(٣٠)

ان شريعتي يشدد على اشتقاق معنى ((التحرير)) من وصف البيت ب((العتيق)). فيغدو بيتا يفيض الحرية على الوافدين اليه. ذلك ان ((العتق)) هو((التحرير)):(٣١) ففي البيت العتيق يتساوى الحر والعبد والابيض والأسود. والعربي والأعجمي. وتتلأشى كافة الاسماء. والالقباب. والعراف. والأعراق. وكل ما يميز الناس. ويصنفهم الى طبقات. ومراتب. ودرجات.

الكعبة بمثابة بوصلة تحدد وجهة السير. وترسم الاتجاه الذي ينبغي ان يسعى الجميع نحوه. انها ((القبلة)) التي تشكل محور اللقاء. وتشير الى الهدف الشامل للمسلمين بأسره(٣٢) هي كالشمس في المركز. والناس كالأجرام تسبح حولها. الكعبة ترمز لخلود الله ودوامه. وحركة الطائفتين الدائرية تمثل النشاط الدائم. والسعي المتواصل. والحركة المستمرة. الكل يتمحورون حول الكعبة كشخصية معنوية واحدة. توحد غاياتهم. وتضفي لهم دروب الحياة. وتحضرهم من مزالق الطريق ومنعرجاته. بينما خارج محيط الكعبة يتشردم الناس. وتصبح لكل منهم وجهة هو مويلها(٣٣) وطواقهم حول البيت هو معراج يلعبون فيه ويندمجون. هو معراج من أجل الناس. والحركة الأبدية باتجاه الحق. وفي طريق الخير العام.وكان الطواف نهر يفيض بالحب والخير للبشرية كافة. هو استئناف لمسيرة ابراهيم راند الحب والخير والحرية(٣٤)

يقول شريعتي: ((في العام الماضي حين كنت أطوف في شدة الحر، تعرضت مرارا لتدافع شديد، فثرت متفعلا. غاضبا من هذا السلوك.

واخلاقيات. ومايشدهه من نزعات معنوية وانسانية وجمالية يرنو الى ان تسود الاجتماع الاسلامي:

الهي: صن ((عقيدتي)) من ((عقدتي)). الهي: مكني من احتمالي العقيدة المخالفة. الهي: هبني ايمان ((الطاعة المطلقة)) لك.

لكي أخوض عالم العصيان المطلق. الهي: اجج في نار ((الشك)) المقدسة. حتى اذا احقرت كل ((يقين)) نقشوه في داخلي. تشرق البسمة الحنون على شفتي فجر اليقين الذي لاغبار عليه.

الهي : قل للماديين : ان الانسان ليس بشجرة تحيا من غير واعي منها في الطبيعة والتاريخ والمجتمع. الهي: علم مجتمعي بأن السبيل اليك. انما الذي يختصر المسافات.

الهي : علم المتدينين بأن الانسان من تراب. وان ظاهره من مادة تفسر الله بقدر ظاهرة من غيب. فله وجود في الدنيا يساوي وجوده في الآخرة. لتقهم ان الدين ان لم يسبق الموت فلا معنى له ولافائدة فيه بعد الموت.

يارب: هب روح المسؤولية للعلماء. والعلم للجاهلين. والنور للمؤمنين. والايمن للمفكرين. والتفهم للمتعبين. والتعصب للفاهمين. والحسن للنساء. والشرف للرجال. والوعي للشيوخ. والاصالة للشباب. والعقيدة للمؤمنين. واليقظة للغافلين. والارادة للمتيقظن.

هب الحبيقة للدعاة والمبلغين. والدين للمتدينين. والالتزام للكتاب. والمعانة للفنانيين. والشعور للشعراء. والأمل للبيانسين. والقوة للضعفاء. والجرأة للمحافظين المترددين. والقيام للقاعدين.

والحركة للراكدين. والحية للأموات. والبصر للعميان. والصحة للعاقين. والصراخ للصامتين. والقرآن للمسلمين.

يارب :

هب الوحدة لديننا. والشفاء لحسادنا. والموضوعية للثانئين والمفروين منا. والأدب للسايبين منا. والصبر للمجاهدين. والوعي لعامة الناس. وهب لأمة :الهمة والتصميم والاستعداد للضء من أجل التحرر والكرامة.

يارب: اهدني كي اقيم مجتمعي على هذه القواعد الثلاث، الكتاب. والميزان. والحديد. اللهم اجعل قلبي فياضا بالحق والخير والجمال. اللهم زدني ارادة. وعِلما. وتصدا. وغنا. وحيرة. ووحدة. وفداء. وشفافية روح.

هي أكبر مما يستحق.

وقد صدرت له لحد الآن ٢٠٠ رواية، وهو رقم كبير قياسا لعمره وللحجم الضخم الذي تتمتع به

رواياته والتي يتجاوز الكثير منها الألف صفحة. ينتهي الروائي الى الطبقة الوسطى، وفي بداية حياته عمل في مؤسسات مختلفة آخرها كان في مؤسسة متخصصة بالنقل والشحن، ومنذ البداية لم ينمعه من أن تكون أمنيته الوحيدة ان يصبح روائيا معروفا. وقد حرص على عرض ما كان يكتبه على الناس المقربين منه وبشكل خاص على زوجته الروائية هايكه هولباين " Heike Holbeinالتي كانت واحدة من المشايخ الأساسية التي ألهمته الخيال، وبالفعل ساعدته على تحقيق حلمه في أن يصبح روائيا معروفا، وقد اشتركت معه في كتابة بعض الروايات مثل "المكتشف"، ومع ذلك لم يفك ارتباطه بعمله السابق إلا بصورة تدريجية، وأثناء هذه الفترة تشكلت ثقافته الواسعة، ليس من خلال علاقات العمل وصياغة مفرداتها كما يفعل الكثير من الروائيين، بالعكس ابتعد عن هذه الحدود المغلقة كما يراها، ليقترب من العلم وتدريب الخيال ودراسة التاريخ فضلا عن الحكايات والقصص والروايات التي كان يقرأها.

**ذروة الطمحات الطوبونية**

في بداية حياته الأدبية، نشر هولباين كتبه تحت أسماء مستعارة ولسبب –كما يقول– من شعوره بأنه لا يستطيع ان يعلن عن اسمه الحقيقي إلا بعد ان يصل الى المستوى الذي يكفل لاسمه النجاح عندما يظهر على أغلفة الكتب وياعلى مستوى، فقد نشر رواية "سيرة ياربي" التي هي من ثلاثة أجزاء تحت اسم مستعار "أنجيليا بونيلا" ورواية "الخيالات الحقيقية" تحت اسم "بيرنهارد هينين" وقد لاقت هذه الرواية إعجابا من القراء، ولم يتخل عن كتابة الأسماء المستعارة إلا عام ١٩٨٢ وبالتحديد في روايته "حكاية القمر" التي حصلت على الجائزة الأولى في مسابقة أدبية عملتها دار نشر (كارل أوير أوبتر Carl uebereuter)اشتركت فيها آنذاك، وقد وصل ما بيع من نسخ هذه الرواية التي نشرتها الدار نفسها بعد ذلك إلى أكثر من مليون نسخة،



اجلس امامه الآن، وأثناء ذلك، في هذه الجلسة، كُرّ على القول أكثر من مرة وهو ينظر حوالية" أنا أستطيع ان أفكر واكتب بشكل أفضل عندما تكون حولي هذه الأشياء التي تربيته حولك، إنها الحياة الحقيقية التي أستطيع فيها أن أستدعي من أريد من الشخصيات لتأتي مطبعة إلي" علما أنه يكتب يوميا إلى ساعات الصباح الأولى، فهذا هو وقته المفضل للكتابة.

انه أفضل من يكتب روايات الفانتازيا في ألمانيا، اعتمادا على اراء القراء وبشكل خاص من الشباب والمراهقين، الذين يعجبونه أبا ورحيا للرواية الألمانية التي هي من هذا النوع، وامتدادا على أرقام بيع النسخ، وريبا هذا التوصيف لا يرضي بعض كتاب الرواية الألمان الذين يرايهم أنه لا يرقى الى مصاف الروائيين من الدرجة الأولى، فروائية مثل (الكا هايدن رايش) ترى أن الشهرة التي هو عليها

## فانتازيا هولباين

# استاذ العرب ..عمره ٥٣ عاماً واصدر (٢٠٠) رواية

أول ما لفت نظري قبل دخولي الى المنزل هو رؤيتي لتألين حجرين يقفان متقابلين كأنهما حارسان عند المدخل، شكلهما الغريب يوحي بأنهما من الجن أو شيء من هذا القبيل، أما على جدران الصالة الرئيسية بعد أن دخلت، فقد علفت أنواع من السيوف والفؤوس التي تعطي انطباعاً مؤكداً لتأثيل اخرى من القصدير لأناس يرتدون دروع الفرسان الحديدية، وأشياء اخرى توحى بأنها تعود لآزمان غابرة، وفي وسط منضدة الطعام يقف تماثال من البرونز لوحيد القرن في حالة هجوم، وعلى الجدران ايضا علفت لوحات عدة، تصور جميعها مناظر ليلية طغت عليها العتمة.

في هذه الصالة تشعر كأنك تجلس وسط مشهد من رواية له، يمكن أن تكون جزءا من فصل، وما على هولباين إلا ان يحركك كما يحرك أبطال رواياته كما يشاء، في مثل هذه الأجواء الغامضة التي توحى بأن شيئا ما قد يحدث في أية لحظة، هناك عنصر يعتمد عليه الكاتب وهو المفاجأة وعلى الجالس هنا في الصالة أن يتوقعها وقد تأتيه من أيما مكان. ما يلفت النظر ايضا، ان عائلة الروائي، الزوجة و الأبناء الستة عندما كنت في ضيافتهم، ظهروا مثل اي عائلة منسجة مع بعضها البعض، تربطهم تلك العلاقة الحميمة والطبيفة، كانوا يعلقون بالكلام على أشياء كثيرة، وأثناء ذلك كان هناك كلبان يلعبان مع بعضهما وكانت هناك أيضا ثلاث قطط فارسية يتملطن بين وقت وآخر من الراحة والكسل على أريكة من الجلدد...

**طراز الملامح**

مع بداية عام ٢٠٠٦ اكمل هولباين عامه الثالث والخمسين، ومظهره بشكل عام يميل الى النحافة وقد أطلق لحيته بلونها الذي يقترب من اللون الرمادي، اما شعر رأسه فقد كان طويلا، وقد ربطه من الخلف على شكل ذيل الحصان، كل ذلك، فضلا عن النظارة عتيقة الطراز التي لم يكن يستغني عنها، وهي لا تجعله يبدو أكبر مما هو عليه من الحقيقة ولكن يبدو التعب واضحا في ملامحه. دعوني أقول ان من يكتب روايات على ذلك القدر من الفنتازيا والرعب لا يمكن ان يكون إلا هذا الذي

**توجمة سلمها حربة**

المانيا

زارت مجلة **Vigo** في عددها الأول هذا العام كاتب الرواية الألماني فولف كانك هولباين **Wolfgang Hohlbein** في منزله بضاحية من ضواحي مدينة **Neuss** حيث يعيش مع زوجته الروائية هيلكا هولباين وأولاده الستة، بمناسبة صدور روايته الجديدة التي تحمل الرقم "٢٠٠" في قائمة إصداراته الروائية، وقد سجلت المحررة الأدبية التي عملت معه هذا اللقاء، رايها وانطباعاتها فضلا عن ما دار من حوار معه في هذا اللقاء **أستاذ الرعب**

تتميز كتابات فولف هولباين الروائية (المولود عام ١٩٥٣ بمدينة فايمار بوسط ألمانيا) بمقدار ما تعطيه من خوف في نفس قارئها، كان على حق من قال أن مقدار ذلك الخوف غالبا ما يجمد الدم في العروق، مرة قال هولباين عن نفسه "أشعر بأني أنتمي الى العصور الوسطى، وكل ما يحيط بي له علاقة بقصص التنانين والعفاريت والسحر، وفي هذه الأجواء أنتقل من قرية الى أخرى باحثا عما هو الأكثر غرابة وابعثا على الرعب" ان هولباين الأكثر نجاحا في ألمانيا بين من يكتبون موضوعات بشكل الرعب والخيال الفنتازي عمودها الفقري، فمذ بداياته الأولى كان طموحه هو أن تنصدر رواياته في المكتبات قوائم البيع، والنجاح بمنظاره هو أن يكون اسمه على قائمة الكتب الأكثر مبيعا في ألمانيا، ساعيا دائما الى تحقيق المزيد من الرعب والخوف في نفوس القراء.

## إصدارات عراقية

**مجلة (المأمون)**

صدر حديثاً العدد الثالث من مجلة (المأمون) التي تصدرها دار المأمون فصلية وقد ضم دراسات سياسية وفكرية وعلمية متعددة ومن موضوعاته (المسيرة الديمقراطية ومستلزمات النجاح) ملاري دايمون ترجمة فوزية ناجي و (تحليل الثقافة) لوليامز ترجمة خالدة حامد و(دراسة حول الألفاظ الدخيلة في اللهجة العامية العراقية) للدكتور طالب إبراهيم

السعيد و(التحليل والكيماء) ترجمة نوفل محمد فوزي و(عاشق البراة) للدكتور محمد درويش وعدد من الموضوعات الأخرى مع ملف خاص عن (انفلونزا الطيور).

**الزائدة**

**تأليف : فاضل النصاروي**

صدرت حديثاً للمسرحي فاضل النصاروي (من كربلاء) مسرحيته الساخرة (الزائدة) وهي لاون من العمل المسرحي الساخر والجاد معا تتوازن فيه الصنعة المسرحية مع المادة السردية الثثرية لتكشف بشكل فاجع عن الالعب رموز النظام السابق وتعالملهم مع المواطنين.

**هيت**

**في ظلال الماضي**

**عبد الرحمن جمعة الهيتي**

أصدر الباحث عبد الرحمن جمعة الهيتي كتابه الجديد (هيت في ظلال الماضي) وهو جزء من موسوعة يعتمز الكاتب استكمالها في دراسة تاريخ مدينته هيت وصناعاتها الشعبية وتفصيل حياتها الاجتماعية، ويحوي هذا الكتاب عدة فصول في بناء هيت وموقعها وأشهر الشخصيات الاجتماعية فيها وجزءا من بنيتها الزراعية ودورة الحياة فيها.

